

روح المعاني

اليه وقد مر الكلام في ذلك وطنوا أنهم قد كذبوا بالتخفيف والبناء للمفعول وهي قراءة علي كرم الله تعالى وجهه وأبى وابن مسعود وابن عباس ومجاهد وطلحة والاعمش والكوفيين واختلف في توجيه الآية على ذلك فقليل : الضمائر الثلاثة للرسول والظن بمعنى التوهم لا بمعناه الاصلي ولا بمعناه المجازي أعني اليقين وفاعل كذبوا المقدر إما أنفسهم أو رجاؤهم فانه يوصف بالصدق والكذب أي كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون أو كذبهم رجاؤهم النصر والمعنى أن مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله تعالى قد تطاولت وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا جاءهم نصرنا فجأة وقيل : الضمائر كلها للرسول والظن بمعناه وفاعل كذبوا المقدر من أخبرهم عن الله تعالى وروى ذلك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فقد أخرج الطبراني وغيره عن عبداً بن أبي مليكة قال : إن ابن عباس قرأ قد كذبوا مخففة ثم قال : يقولوا واختلفوا وكانوا بشراً وتلا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قال ابن أبي مليكة : فذهب ابن عباس إلى أنهم يؤسوا أو ضعفوا فظنوا أنهم قد أخلفوا وروى ذلك عنه البخاري في الصحيح واستشكل هذا بأن فيه ما لا يليق نسبته إلى الأنبياء عليهم السلام بل إلى صالحى الأمة ولذا نقل عن عائشة رضي الله تعالى عنها ذلك فقد أخرج البخاري والنسائي وغيرهما من طريق عروة أنه سأل عائشة رضي الله تعالى عنها عن هذه الآية قال : قلت أكذبوا أم كذبوا فقالت عائشة بل كذبوا يعني فقلت : لعله وطنوا أنهم قد كذبوا مخففة قالت : معاذ الله تعالى لم تكن الرسل لتظن ذلك بربها قلت : فما هذه الآية قالت : هم اتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم وطال عليهم البلاء واستأخروا عنهم النصر حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم جاء نصر الله تعالى عند ذلك .

وأجاب بعضهم بأنه يمكن أن يكون أراد رضي الله تعالى عنه بالظن ما يخطر بالبال ويهجس بالقلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية وذهب المجد بن تيمية إلى رجوع الضمائر جميعها أيضاً إلى الرسل ماثلاً إلى ما روى عن ابن عباس مدعيًا أنه الظاهر وأن الآية على حد قوله تعالى : إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته فان الالتقاء في قلبه وفي لسانه وفي عمله من باب واحد والله تعالى ينسخ ما يلقي الشيطان ثم قال : والظن لا يراد به في الكتاب والسنة الاعتقاد الراجح كما هو في اصطلاح طائفة من أهل العلم ويسمون الاعتقاد المرجوح وهما فقد قال صلى الله عليه وسلم : إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث وقال سبحانه : إن الظن لا يغني عن الحق شيئاً فالاعتقاد

المرجوح هو ظن وهو وهم وهذا قد يكون ذنباً يضعف الإيمان ولا يزيله وقد يكون حديث النفس المعفو عنه كما قال E : إن اﷻ تعالى تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل وقد يكون من باب الوسوسة التي هي صريح الإيمان كما ثبت في الصحيح أن الصحابة رضي اﷻ تعالى عنهم قالوا : يا رسول اﷻ إن أحداً ليجد في نفسه ما أن يحرق حتى يصير حمماً أو يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به قال A : أوقد وجدتموه قالوا : نعم قال : ذلك صريح الإيمان وفي حديث آخر إن أحداً ليجد ما يتعاطم أن يتكلم به قال : الحمد ﷻ